

سر الوجود

ما هي الحياة اين كان الاحياء قبلها ولدوا والى اين يمضون بعدما يموتون وما هي الحكمة في هذا الخلق - لماذا يولد مئة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الا اثنان من اولادها اشدها وتقر الشجرة الورقا من الاثمار قبلما ينشق لاحدى يزورها ان تثبت وتختلف نسلًا - وعلى م تظهر الازهار والرياحين في الثبات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتشمع بها ذوق حيوان يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام - يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تتجمع على عناصر الجواد فتحلها وتركها وتجعلها غذاء للنبات فينبو بها وبصير غذاء لحيوان - وكما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها ايكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يحفظها - وكما مات حيوان اغلج جسمه وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت اكله غيره من الحيوان غذاء له - وانواع النبات والحيوان ترقى جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النوايس الطبيعية القاضية ببقاء الاصح للبقاء - والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليه نوايس الطبيعة كما تجري على غيره يولد معرضاً للآفات الطبيعية فتغلب عليه او يظلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلًا ونشوا الى الاعقاب والاحباب والارقاء مستمره وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم به جزء من اجزاء هذا الرقي - هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفت النطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد واطلق لخيال العنان فلم ير امامه الا فلاةً داساً فارتمد على نفسه وهو يقول

عفت اليراع سائمة وفرارا	من بادراته تلجم الافكارا
وخرجت في ليل كأن نجومه	احقاق فصفور اصابت نارا
جبت الجزيرة لا ارى لي مؤنساً	والليل حولي لا يزيل اوارا
حتى بدا نور الصباح نشيته	نور الهدى فاتيته محضارا
وطلبت عن هذا الوجود مسره	كشفاً يزجج عن الوجود ستارا
فاجابني سر الوجود صحيفة	طويت فقلت انشر امت عشارا
نشت عن سر الوجود وقصده	وسألت عنه النعلس والاحبارا

طالعت ما كتبوا فما من متع
 امهك هذا النيل لا تحصى وفي
 عاشت وماتت بين حبٍ او قلى
 حرباً وسلماً واعنداء واحسكا
 وطوائف الاحياء يعي ومنها
 من مثل مكروب حقير لا يرى
 والنيل قل ما شئت به تعظيمه
 لو الف نيل جمعت ما مائت
 بحر خضم واخلاق ملكه
 كانت كذلك في العصور الغائرات
 المبيات على النضا آثاراً
 منها تولدت الصخور وطالما
 والطير في انواعها وسروها
 اسرابها تقدر وتقطع رملها
 ونبات هذي الارض من ارز الى
 فلى م هذا خلق ان كان
 الفناء مصيره والناس في تواري

فاجاني ركز خلفي قائلاً
 هذي اخلاقي كهن دقائق
 والفرد نيا ليس من مجموعها
 ورقى هذا اكثرت بسدي -
 اندثار دقائق ونفاية ويوارا
 جعلوا دجى الليل انهم نهارا
 اسبع وقل قولي « انت عشارا »
 وانكون من مجموعها قد صارا
 الا هياه او قذى منهارا

انوت في سبل الرقي ضحية
 نور اخلاقي مصدر النور الذي
 ان لم تر عقل ابن آدم لم يجد
 فاهد ايا نور البعائر معشراً
 انصروا عوامل عقلم فشلت
 ظلم ونور العقل قصر عن هدى
 ونصير من اجل الرقي غبارا
 يهدي الكواكب في السماء مدارا
 نور الهدى بل زاد عنك نقارا
 تتخذوا الحقيقة خلة وشعارا
 واستوقفوا المنفى فزاد قرارا
 وبغير نورك لا نقيم منارا